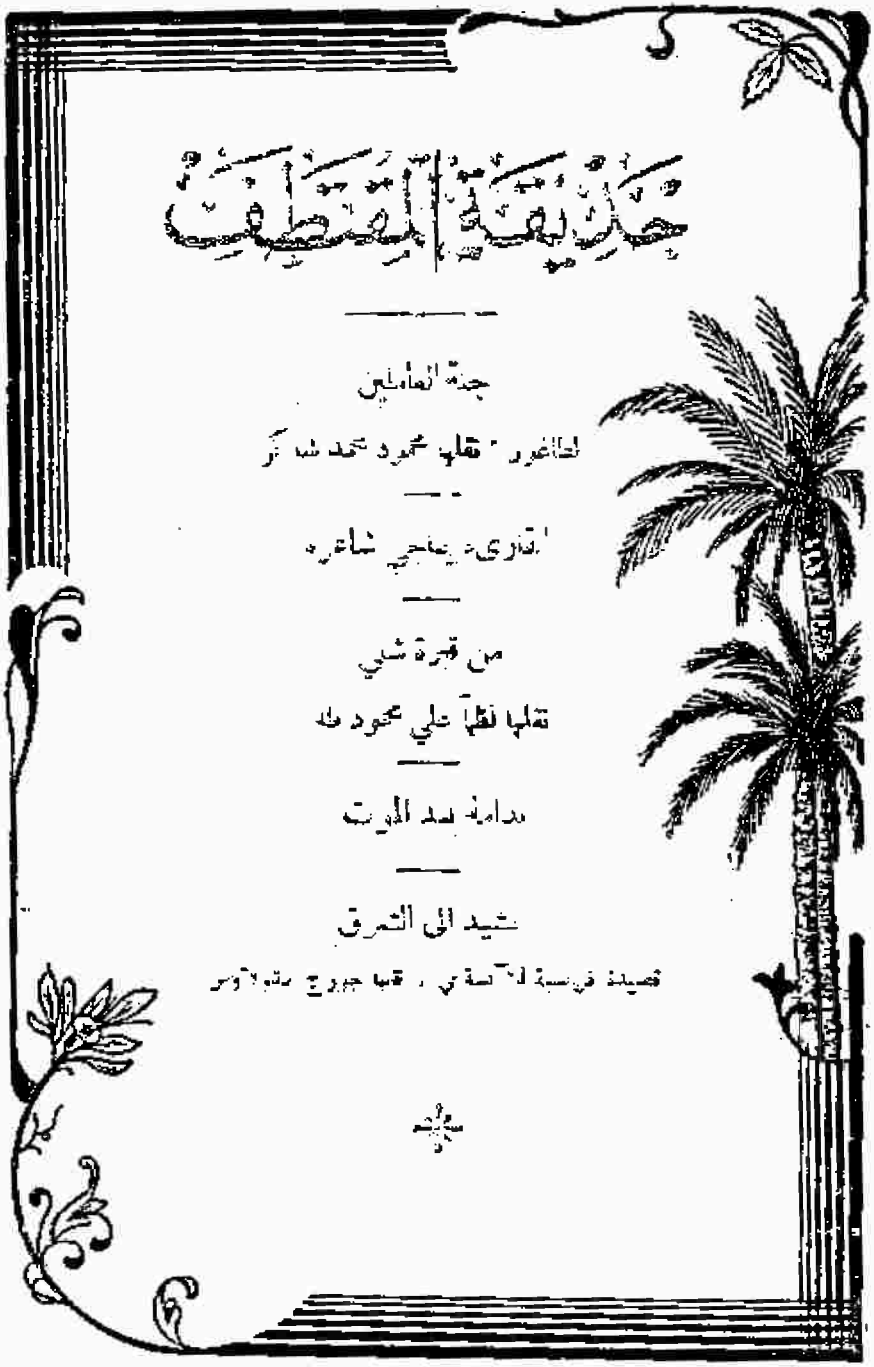

حديقة المصطفى

جنة العاملين

للشاعر المجيد محمود محمد شاكر

القارىء ياخي شاعره

من قبرة شلي

نقلها نظماً علي محمود طه

بدامة سد المرت

نشيد الى الشرق

قصيدة فرنسية للآنسة ي . نقلها جورج بدوي الأسير

نقلها عن محمد شاكر

١ — جنة العاملين

لرابندرانات طاغور

كان صاحبنا لا يدين ابداً بشرات العمل ، فطفق ينغمس في بدوات من جنونه اذ لم ير عملاً نافعاً يعمله . . . واخذ نفسه بعمل الدُّمى الصغيرة في صور رجال ونساء وقلاع ، واخرى من أواني الفخار مرسمة بأصداف البحر ، وكان حيناً يصوّر بألوانه ما شاء ، وبذلك اضاع ايامه فيما لا يجدي ولا ينفع . وقد أثار الناس حتى سخروا منهُ . فكان يعقد العزم ويثور على نفسه ان ينقضّ من رأسه هذه البدوات المخبولة ولكن هذه البدوات ما كانت لتدعهُ وما إن زال متعلقة به

ان بعض العقار لا يقرأ من كتبه شيئاً ولكنهُ مع ذلك يجتاز الامتحان وكذلك كان أمر صاحبنا فانهُ أنفق عمره على الارض فيما لا يجدي وحين فاضت روحهُ فتحت لهُ أبواب السموات . ولكن القدر يجري حتى في السموات ، فقد حدث ما حدث فان الروح الذي وكّل به اخطأ القصدَ وانزلهُ في « جنة العاملين »

وانك لتجد في هذه الجنة كلَّ ما تتوهمهُ الا الفراغ ، فهناك يقول الرجال « ربَّنا ما لنا من ساعة نستريح اليها » وثَمَّ النساء يقلن « الوحى الوحى . يا أحبابنا — فان الزمن يطير » والجميع يقولون « الزمن غالٍ ثمين » « ان أيدينا لا تخلص ساعةً من اعمالها ، وإنا للستفيد من كل دقيقة بالعمل » ثم يتنفسون الصعداء ، وقد كانت هذه الكلمات نفسها تشعرهم اللذة والسعادة

ولكن هذا الواغل — الذي صرف كل حياته على الأرض خليًّا لا عمل لهُ — كان شذوذاً في اسلوب الحياة في « جنة العاملين » فتقاذفته الطرق هائماً مذهوباً بعقله يصطدم بالرجال الدائبين على عجل ، وكان حيناً يلتي يدهِ على نبات الارض فيلعنهُ الزارعون بألسنة حداد اذ كان أبداً لقىً في طريق غيره

وثَمَّ كانت ترفُّ فتاة يجري بها الدؤوب ويستفزُّها النشاط — لتملأ ابريقها من مندفع سيل (وقور صامت) — سيل صامت وان السيل في « جنة العاملين » ليأبى ان تضيع اسباب نشاطه في التصويت والطرب

وكانت خطوات الفتاة على الطريق أشبه شيء بالحركة السريعة من بنان ماهر بارع على أوتار قيثار ، وكان شعرها مرسلاً في غير عناية وترى خصلات منه يقبّلها النسيم على جبينها وكأنها تشرف على سحر نظرات عينيها

وكان هذا الفارغ الخليُّ واقفاً على النبع لا حراك به . وكما ترى الملكة من خلال

النافذة سائلاً منبوذاً فتأخذها الرحمة فكذلك رأت الفتاة الالهية هذا الخلي فأخذتها الرحمة . فسألتهُ : « ها . أما لك عملٌ بين يديك تعمله ! »

فأرسلها صاحبنا زفرة « عملٌ .... ! ما اجد من ساعة افرغ فيها للعمل »

فحارت الفتاة في معنى ما يقول ثم قالت « لئن احببت لا هينٌ لك عملاً تعمله »

قال « يا ابنة السبل العامت . هل لك ان ترمي اليَّ بابريق من اباريقك ؟ »

« ابريق ... ! اتودُّ ان تستقي من مجرى السيل »

« لا .... بل أودُّ ان اصوّر على ابريق بعض التهاويل »

فبرمت به الفتاة وقالت . « ما اجدُ لي ساعة اضيعها مع مثلك ، لأدعنَّك » وتركته وسارت لطيتها . ولكن — كيف يعلو انسان عامل بالغلبة على من لا عمل له؟!

وجرى الزمن وهما يلتقيان في كل يوم وفي كل يوم يقول لها «يا ابنة السبل الصامت ارمي اليَّ بابريق من اباريقك لأصور عليه بعض التهاويل» واخيراً لان له قلب الفتاة ، ورمت اليه بابريق

وبدأ صاحبنا يصوّر ، واخذ يمدُّ خطاً بعد خط ويضع لوناً الى لون فلما فرغ رفعت الفتاة بابريقها ومدت اليه عينين ملؤها الحيرة والعجب وقوست الدهشة حاجبيها ثم سألتهُ : «اي معنى ترمي اليه هذه الخطوط الكثيرة وهذه الالوان العديدة ثم ما الغرض منها ؟ » ثم حملت اباريقها وولّت ، وفي دارها — وقد بعدت عن العيون المتجسسة — رفعت ابريقها الى الضوء وادارته يمنة ويسرة تنظر الى الصورة من كل ناحية . وحين ارخى الليل سدوله قامت من مضجعها ، واشعلت نبراسها وحدجتهُ بالنظرات في صمت وحيرة . ولاول مرة في حياتها ترى ما لا معنى له ولا غرض منهُ

وفي اليوم التالي نهضت الفتاة الى عملها والعجل الذي كان يمدُّ خطوانها قد بدأ ينقص اذ قارت في ذهنها الافكار التي لا غرض لها ولا معنى فيها

فلما بلغت موضع مسيل وجدت هذا الفارغ الخلي هناك فسألتهُ مغيظة محنقة « ويلك ايها الرجل ... بل ماذا ... ماذا تبتغي مني » ؟

« ما ابتغي شيئاً الا عملاً اظفر به من يديك » « واي عمل تريد » !

« ذريني انسج لك عَصْباً ملوناً تعصبين به شعرك ، ان بلغت بهذا رضاك »

« ولماذا ... !! » « لا لشيء »

وصنع لها العَصْبَ يزهَرُ بألوانه ... وهنا اخذت الفتاة الدائبة في جنة العاملين تنفق اوقاتها كل يوم في وضع هذا العَصْبِ على شعرها ، وفرّت الساعات وراءها الساعات ضائعة مضيّعة ، وبقي عمل على عمل لم يتمّ . وبقيت الاعمال في جنة العاملين ناقصة

من ذلك الوقت ، واصاب التقوّر كثيراً ممن كان قبل لا يمسّهُ نصبٌ ولا لغوب واصاغوا الساعات الغالية فيما لا ينفع كالتصوير ومع التماثيل

قلق شيوخ الجنة ودعوا الناس اليهم وأجمعوا الرأي على ان هذا حدثٌ عجيبٌ لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه الجنة . وبينما هم كذلك اذ اقبل الروح الذي وكّل بصاحبنا واتى الشيوخ اجلالاً وأمر بما فعل . «اني اتيتكم خطأً برجل تقع عليه وحده تبعات هذا الحدث»

فنودي به فدخل ورأى الشيوخ بزته العجيبة ، وآلات تصويره ، ولطائف صوره التي في يده ، فقرّ في أنفسهم ان ليس مثل هذا من رجال جنة العاملين فقال لهُ الرئيس متجافياً مُغْتاظاً : «ليس هذا مكانك ايها الرجل ، فعليك ان ترحلَ عنا لساعتك »

فأرسلها صاحبنا زفرةً وجمع أداته وآلته وهمّ وبينا هو على نوى الرحيل اذ جاءت « ابنة السيل الصامت » من اقصى الجنة تسعى

« تَلَبَّثْ قليلاً ، فأنا أيضاً راحلة معك» . فأخذ العجب كل مأخذ من الشيوخ فما جرى يوماً ما في جنة العاملين حدث كهذا لا غرض له ولا معنى فيه

---

٣ — القارئ يناجي شاعره

لترشد لا غالين

ويحكَ ، ايها الشاعر ، اما ينتفض بك الحسُّ اذ تجدني اضم الى قلبي اقاريدك ، وان انت الا رمّة وتراب ، وحين آوي بها مع الليل الى وسادي اقبلها قبل ان يعقد الكرى اجفاني ثم اصبّحها بقبلة على وجه الفجر الندي حين يستشرق من وراء الليل

ويحكَ ، أما اني لادع الشمس تفيض على صفحاتها من ضوئها الطهور ، واهبها لنسمات الفجر ترتاح بين اوراقها كما ترتاح بين اوراق الورد

واني لأحمل ديوانك بين يدي فأدسُّ وجهي في صفحاته كما دفنته بالأمس في فؤاد زهرة ندية .... كلاّ بل فيما هو اعزُّ منها ومن فؤادها مكاناً وأسمى

تعلّمْ ايها الشاعر ، ان الوفاء من الورى يحسنك كحبي اياك

وان الحبيبات ليبلغ بك حبهنّ الى مكان هو فتنة المتمني

أسعيد انت ايها الشاعر ؟ وان من اماني حيناً بعد حين ان احيى في مثل ما تحيى فيه من المحبة والاحدوثة ، ومن افراح قلبي ان اتغنى بمثل اغانيك ثم اسلم الروح

بُنّي ، ايها الشاعر ، اما تمنحني مجدك هذا وعليَّ ان اردَّ على بواليك ميعة شبابي؟ باذلاً لك حياتي وأيامي في ضوء الشمس لاظفر بواحدة من مثل اقاريدك الجميلة

الى طائر صداح

من « قيثارة » الشاعر العبقري شلي

[لقد حاول الشاعر على تمرده على الهندسة هذه القصيدة الخالدة مراعياً في النقل دقة التعبير عن معاني الاصل الانكليزي ومحافظاً على مقتضيات البيان الشعري الغربي وجامعاً ما امكن بين الاثنين]

من أنت ؟! يا من يجرب الليل منفرداً ... ولم تقع لي عليه بعدُ عينان ؟
أيَّ الخليقة قل لي انت تشبهُ ؟؟ ... واليها منك في اوساقه داني ؟
وهذه السحب أصباغاً منعكلة ... في رائع من قريد اللون فتان
لا يزل الغيثُ منها منذما نزلتْ ... تبقى اغانيك في سمعي ألحان

كشاعر في سماء الفكر مختبئ ... دلَّ الوجودَ عليه حسنهُ العالي
ألحان اغنية امسى يرتلها ... كرسل من نشيد الخلد صال
أسلمنَ بالعالم السالي خوالجهُ ... حتى استحال شجوناً قلبهُ السالي
بعثنَ من ألمٍ فيه ومن أمل ... ما لم يكن منهُ في بوم على بال

كأنَّ حوريةً في ظلِّ شاهقة ... من البروج تقضي العيش في خلس
لم تُغمض النومُ عينيها ولا خمدتْ ... نيرانُ قلب لها في خيمة النلس
باتتْ تلطف آلاماً تساورها ... في عزلة — بنشيد ساحر الجرس
تطوف الحانُ موسيقاهُ مخدعها ... كأنهُ الحبُّ في ايقاعه النلس

كأنَّ بين الرُّبا التفتْ خمائلها ... فراشةٌ من سبيك التبر جلواء
يا حسنَ أجنحةٍ منها مذهبةٍ ... قد رقَّشتها من الاسحار انداء
تُمري السماء صفاءً فهي ان خطرت ... فللسماء بهذا اللون اغراء
تجلو الازاهرَ والاعنابَ طلعتها ... اذا بدتْ ولها فيهن اخفاء

كزهرة الحقل في غيناء سرحتها ... لم يملأ النورُ من أجفانها حدقا
حتى اذا لفحتها الريحُ هاجرة ... ركنتْ وأربتْ على املودها ورقا
وأرجَ الحقلَ من انفاسها عبقٌ ... يشوقُ كلَّ جناحٍ نحوها خفقا
تهفو اليها من النسمات أجنحةٌ ... من كلِّ مُنطلقٍ من عطرها مرقا

ووقع لحنك في الاسحار أرخم من ... وقع الندى فوق أعشاب البساتين
قد نقط الشب المنضور سلسلهُ ... وجاد بالطل أعراف الرياحين
يا من على صوته في الافق مسجاً ... تصحو الازاهر في أفنانها العين
كلُّ البدائع مهما افتنَّ مبدعها ... لم تعدُ لحنك في صوغٍ وتلحين

قل لي أمن ملكوت الروح منطلق ؟! ... ام طائرٌ انت في الآفاق حيرانُ ؟!
اي الخواطر من حسنٍ ومن بهج ... يشيعها منك في الارواح وجدانُ ؟!
لم تشرئبَّ قلوبٌ من اصالعها ... لغير صوتك او تنصبُّ آذانُ
حديث حب وخمر بات يكتبهُ ... من جانب الله النمام والحانُ !!

من أينَ تلك الاغاني أنت ترسلها ؟! ... من أي مطرد الينبوع منسجم ؟!
من أي فارة الامواج زاخرة ؟! ... وأي تلك المروج العذبة النسم ؟!
من أي ضاحية الآفاق ضاحية ؟! ... أي السهولة والاغوار والقمم ؟!
وأي حبٍّ أليفٍ منك أو وطنٍ !! ... وأي جهلٍ لما ناقاهُ من ألمِ ؟!

وفي منامك والآفاقُ ساهمةٌ ... وفي انتباهك والظلماءُ إصغاءُ
لا بدَّ من نبإٍ للموت تعرفهُ ... وفي ضميرك منهُ اليوم اشياءُ
لأنت اعمق رأياً في حقائقهِ ... مما نراهُ ونحن اليوم احياءُ
او لا ؟ فكيف انسجام اللحن مضطرداً ... يجريهِ من رائق البلور لألاءُ ؟!

انا نفكرُ في ماضٍ بلا اثرٍ ... ومقبلٍ من حياةٍ كلها غيبُ
ومستحيلٍ رجَّي برقَ دينتهِ ... وكلُّ ما نرتجيهِ منهُ مختلبُ
وكم لنا ضحكاتٌ غيرُ صادقةٍ ... ما لم يشبْ صفوها التبريحُ والوصبُ
وإنَّ أشهى الأغاني في مسامعنا ... ملسالُ وهو حزينُ اللحن مكتئبُ ؟!

هينا على رغم هذا ليس يجمعنا ... بالحقد أو كبرياء النفس أرهاقُ
فلا القلوب لدى البأساء جازعةٌ ... ولا بهنَّ اذا روّعنَ إشفاقُ
وانما قد درجنا في خليقتنا ... بلا دموع تذرّيهنَّ آماقُ
فكيف كنا إذاً تلقاكَ في صلةٍ ؟! ... او يغمر الروح لحنٌ منك رقراقُ ؟!

يا أعذبَ الطير موسيقى وأروعها من كلِّ رائق ألحام وألحانِ
ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعت تمائمُ الكتب من دُرَيِّ تبيانِ
يا ما أحقَّ اقتداراً منكَ قادرةٌ بشاعر لبقِ التصوير فتانِ
أنت البرآءُ في حبٍّ وعاطفةٍ يا من تعاليتَ عن أرضٍ وانسانِ

***

أما تُملي عما يفيضُ به غناؤكَ العذبُ تطراباً وتحنانا؟
ذاكَ الجنونُ الذي يهدي توافقهُ إليَّ من صدَحات الخلدِ ألحانا؟
ألستَ تلهمني وحياً يفيض به في فأملأُ قلبَ الكونِ إعجابا؟
أشدو فيلقي إليَّ الكونُ مسمعهُ يصغي إليَّ كما أُصغي لك الآنا؟؟

ندامة بعد الموت

لبودلير: عن الترجمة الانكليزية

عند ما ترقد يا طيف جمالي القائم، تحت تمثال من الرخام الاسود، في كهف مخدعك الرطب، وتحت تبو مغارة ذلك المأوى، وعند ما يعصر الحجر الكبير بثقله المروِّع جوانب صدرك، هنالك في خفة حالة بهجة سيقف ذلك القلب من ضرباته ورغائبه؛ وهذه الاقدام المتفحِّمة المغامرة عن عدوها

وهنا — هذا القبر — (يشير الشاعر الى قلبه) الذي ساهمني هواجسي وأنا مستغرق في شرودي الازلي، طيله تلك الليالي، حيث لا نوم لك بعد الآن، سيهمس قائلاً . . . . .

« لمن وقع هذا الخطى ؟ ؟ »

« من أنت أيتها الاقدام الفاجرة ؟ ؟ أنت التي لم تعرفي ما هي دموع الموتى ؟ ؟ »

وكوخزات تأنيب الضمير ستمضي الديدان في التهام جسدك . . . . ***

نشيد الى الشرق

[نظمه جورج بقولاوس]

[الآنسة « بي » الشهيرة ان تعرف . فكتاباتها منتشرة في كل مطبع واسمها ملء الافواه والاسماع . ولكن لا نظن ان كثيراً من قراء العربية يعرفون ان هذه الكاتبة شاعرة فرنسية وكاتبة بلغة ابناء البين لا يشق لها غبار . ولذلك ارتأينا ان ننقل لها هذه القطعة وهي من الشعر المنثور ليجتلي القراء محاسن كتاباتها الفرنسية ، كما اجتلوا محاسن كتاباتها العربية]

ايها الشرق !

يا شرقي الفسيح الجوح البيّن العريكة !

ياشرق العظمة واللطف والشهامة والحماسة والشهوة العاصفة في شدة كسموم الصحراء!

ان تصوراتي تتمثلك كأنك ضمنَ إطار . وها هو فكري تتبيّن له نقائصك وشدائدك ، واحتياجاتك وتضاربُ نزعاتك . انت فقير بنظمك وترتيبك ومناهجك ، انت اعزل قد جردك قضاء الزمن . غير ان مصائبك كان فعلها في تجريدك اكثر من فعل قضاء الدهر وقدره . ان العلومَ تنقصُك ، ومواردك العديدة المبعثرة متلمّسة منك . وانت مُقسَّمٌ لا مجموع لك

اعرف هذا كلّه . ولكن تفتي بمستقبلك واسعةٌ لا تتزعزع ، مثل تقتي التامة بالحياة

فما هي اذن هذه القوة التي تربطني بك ؟ لماذا يحبّب اليّ من كلامك تلك النبرات الشجية المتناسقة ، التي تبعث في القلوب الحنينَ الى الوطن ، وتلك اللهجات الخلقية السريعة ، وتلك الصيحات الداوية بخيلاء الجنس ، التي تنشر إتقادَ مناطقك الحارة ؟

ما هي تلك المجانسات العديدة الفالتة غير المسوكة ، التي تربطني بشعوبك المتراكمة في بلدانك الكبيرة ، وفي ظلّ طرقك الجيدة وآثارك الخالدة ، كما تربطني بأعرابك الرُحّل الذين يتفيأون الخيامَ في صحاريك القاحلة المجدبة ، وبالقبائل المبعثرة على ضفاف أنهارك او المتجمعة حول ينابيعك ، وبالقوافل التي تخدُّ أنجادك وأغوارك وبجميع تلك الفصائل المنتشرة في جبالك ووديانك ؟

بأيّ سرّ غريب أفضت اليّ هذه اللغة العربية في غابر الازمان ، حتى اني عند ما اسمع لهجة من لهجاتها اشعر وكأني وجدت تفسيراً لما لا يفسرُ في نفسي ؟

لماذا كلما وقعتْ عيني على فرد من افرادك استشعر عرفاناً للجميل يختلج في داخلي ،

وتحناناً لا يستشعر لمرهِ الاَّ في لقاء قد قطع منهُ الرجاء بعد فراقٍ طويل الاَمَد ؟

كلُّ غريزةٍ فيك ملحمة بعيدة الاَغوار، تتملكني وتسحرني لكِ ، أيها الشرق ، أنا القرّة الطفيفة بين مليارات المليارات من ذرّاتك ! ورغماً عن صِغَري ، لقد أودعتَ فيَّ صحاريك ومروجك ، وقُلَلَكَ البعيدة المنال ، وأغوارَ اوديتكَ ، وصيْفاتك وحسناتك ، وزعازع مُناخِك المَهُول ، ونشيدَ مزاميرك النائح ، ولياليك المخملية العميقة ، ووطيسَ شمسك المحرق ، وقلوبَ بنيك المقدامة الشديدة الحمية ، وفراك الانكارية المتلازمة التي لا يَنْضَبُ لها معين !

أترى هذه السجاجيد التي هي معاؤك ، تنبسطُ في لونها السَّمَنْجُوني الراهي المرَشّى بالذهب والفضة والاَرْجُوان ، وقد تمازجت هذه الالوان وتداخل بعضُها ببعض ؟

ايها السماء التي أوْحتْ باعظم الرسالات الى الانسانية ، وأظلّتْ تفتّح الحياة وسيول الوحي والنبوّات . لانك عُبِّلْتَ ، ايها الشرق ، لتكون الوطن الاول للعبقريات الاُولى وللابطال والملهمين !

لقد كنتَ في حاجةٍ الى الراحة ثلاثة قرون اكتسبتها بعد كل تلك القرون المليئة كدّاً وجهداً ، وكان مشروعاً ان مدّ مدنياتك المحسن العظيم يرتدُّ ومن ما يجزّ محتوم ، تحت ضغط سنة التعاقب الظالمة التي لا تهادن ولا ترحم

ولكن ها تلك السنّة نفسها التي تتحكم بمد البحر وجزره الجديدين وتضبطهما، تقرع ساعة اليقظة والسير الى الامام . فنهوضاً اذن ، رغم قيودك ورزاياك ، وانكسار عزمك وخمود همتك !

نهوضاً !

حولك يناضلُ الاقوياء ويفوزون ممجدين نفوسهم في تأليه الغلبة ! فهلاَّ سمعتهم مع ذلك يئنّون في الظلام : « الى متى ننتظر الفجر الذي سيسطع ؟ »

ساكنين انتم ايها الاشداء والاقوياء الضعفاء ! ايها العلماء للعُظام ، الذين يجهلون الابجدية !

أيمكن أن يتلألأ الفجر دون ان يَنْشر النورُ المشرقُ ؟

أنت برج الضياء ، ايها الشرق ! انت مُوزّع نسمة الحياة !

فنهوضاً اذن ، والى العمل لتثقف نفسك ! وعندئذٍ يزغُ في أفُقِك مشعلُ الاضواء واللهب !